أم البنين

* نسبها

هى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان

أخت الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز

زوج أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان

من ربات البلاغة والفصاحة

* المرأة ريحانة وليست كهرمانة

ذات يوم وفد الحجاج بن يوسف الثقفى على أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك فوجده ، فى نزهة ، فاستقبله ، فلما رآه الحجاج ترجل له وقبل يده وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية

فقال له الوليد :

ـ اركب يا أبا محمد

فقال منافق ثقيف :

ـ دعنى يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد فإن ابن الزبير ـ يعنى عبد الله بن الزبير ففى سنة ثلاث وستين للهجرة بويع لمعاوية بن يزيد بن أبى سفيان بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بالحجاز فكانت الفتنة الثانية حيث قاتل أهل الشام أهل الحجاز وقام الحجاج بن يوسف برمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير ـ وابن الأشعث ـ يعنى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذى هب فى وجه سفاح ثقيف وطالب بخلع الحجاج فقام أهل الكوفة وأهل البصرة ومعهم العلماء : سعيد بن جبير ، وعامر الشعبى ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى وطالبوا بخلع شيطان ثقيف وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فكانت موقعة دير الجماجم وهزيمة ابن الأشعث ـ شغلانى عنك.

obeikandl.com

فعزم أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على سفاح ثقيف حتى ركب ، ودخل الوليد بن عبد الملك داره وتفضل فى غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده .

وبينما كان أمير المؤمنين يحادث الحجاج بن يوسف الثقفى إذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ، ثم عادت فسارته ثم انصرفت

فقال أمير المؤمنين لشيطان ثقيف :

ـ أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد ؟

قال سفاح ثقيف :

ـ لا والله

قال الوليد بن عبد الملك :

– بعثتها إلى ابنة عمى أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما مجالستك لهذا الأعرابى المتسلح وأنت فى غلالة ؟ فأرسلت إليها أنه الحجاج فراعها ذلك وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ـ قتل الحجاج عشرات الآلاف وسجن الآلاف من أهل العراق ـ

فقال الحجاج بن يوسف :

ـ يا أمير المؤمنين : دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بكهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ، ولا تطعهن فى غير أنفسهن ، ولا تشغلن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن فى الأمور فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ـ ضعف ـ واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأموال ما يجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرك ، ولا تطل الجلوس معهن والخلوة بهن فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك .

ثم نهض الحجاج فخرج .

* أسد على وفى الحروب نعامة :

دخل الوليد بن عبد الملك على زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ـ أخت عمر بن عبد العزيز ـ فأخبرها بمقولة الحجاج ، فقالت :

ـ يا أمير المؤمنين : أحب أن تأمره غدا بالتسليم على .

فقال الوليد .

ـ أفعل .

فلما غدا الحجاج على الوليد قال له :

ـ يا أبا محمد : سر إلى أم البنين فسلم عليها .

فقال شيطان ثقيف :

ـ أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين .

فقال الوليد بن عبد الملك :

ـ لا بد من ذلك .

فمضى منافق ثقيف إلى أم البنين ، فحجبته طويلا ، ثم أذنت له فأقرته قائمًا ، ولم تأذن له بالجلوس ، ثم قالت :

ـ يا حجاج : أنت المُمْتَنّ على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه ما ابتلاك بهدم الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين ، وأول مولود ـ للمهاجرين فى المدينة ـ فى الإسلام ، وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم ، حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت فى أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم وأنجاك كفاحهم ، وطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك من غدائرهن وبعنه فى الأسواق فى أرزاق البعوث إليك ، ولولا ذلك لكنت أذل الناس من النقد .

وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك ، قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أسد على وفى الحروب نعامـــة فزعاء تفزع من صغير الصافـر

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

ثم قالت أم البنين لجواريها :

ـ أخرجنه عنى .

فدخل الوليد بن عبد الملك من فوره فسأل منافق ثقيف :

ـ يا أبا محمد : ما كنت فيه ؟

قال الحجاج بن يوسف :

ـ والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلى من ظهرها فضحك أمير المؤمنين حتى فحص الأرض برجليه ـ ضرب الأرض برجليه ـ ثم قال :

ـ يا أبا محمد : إنها بنت عبد العزيز .

* أم البنين فى مكة

استأذنت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان فى الحج

فأذن لها

وبينما أم البنين فى الطواف إذ بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهى تقول :

يا وحشتى بعد الأنس

ويا ذلى بعد العز

ويا فقرى بعد الغنى

فقالت لها أم البنين :

ـ ما لك ؟ أذهب لك مال أو أصبت بمصيبة ؟

قالت الجويرية :

ـ لا ولكن كان لى قلب ففقدته

قالت زوجة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك :

ـ هذه مصيبتك ؟

قالت الجويرية :

ـ وأى مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب ؟

فقالت أم البنين :

ـ إن حسن صوتك قد عطل على من سمع كلام الطواف

فقالت الجويرية :

ـ يا أمة الله : البيت بيتك أو بيته ؟

فقالت أم البنين :

ـ بل بيته

قالت الجويرية :

ـ فالحرم حرمك أم حرمه ؟

قالت زوج أمير المؤمنين :

ـ بل حرمه

obeikandl.com

فقالت الجويرية :

فدعينا نتدلل عليه .

ثم أردفت :

ـ بحبك لى إلا رددت على قلبى

فقالت أم البنين :

ـ من أين تعلمين أنه يحبك ؟

قالت الجويرية :

ـ جيش من أجلى الجيوش وأنفق الأموال وأخرجنى من دار الشرك وأدخلنى فى التوحيد ، وعرفنى نفسه بعد جهلى إياه ، فهل هذا إلا لعناية ؟

قالت زوج الوليد بن عبد الملك :

ـ كيف حبك له ؟

قالت الجويرية :

ـ أعظم شىء وأجله

فتساءلت أم البنين

ـ وتعرفين الحب ؟

قالت الجويرية :

ـ فإذا جهلت فأى شىء أعرف ؟ إنه الحلو المجتنى ما اقتصر ، فإذا أفرط عاد خبلا قاتلا أو فسادا معطلا ، وهو شجرة غرسها كريه ومجناها لذيذ .

ثم ولت

وأنشأت تقول :

وذى قلق لا يعرف الصبر والعزا له مقلة عبرى أضر بها البكا

وجسم نحيل من شجى لاعج الهوى فمن ذا يداوى المستهام من الضنا؟

ولا سيما والحب صعب مرامـــــه إذا عطفت منه العواطف بالفنـــا

* الندم

دخلت عزة كثير ـ عنترة وعبلة وقيس وليلى وعزة وكثير قصص من الحب الذى ضرب به الأمثال ـ على زوج أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ذات يوم فقالت أم البنين :

ـ ما سبب قول كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

قالت عزة :

ـ كنت وعدته قبلة فتخرجت منها

فقالت أم البنين :

ـ أنجزيها وعلى إثمها

تقول أم البنين : فندمت على قولى هذا فأعتقت لكلمتى هذه سبعين رقبة

* أم البنين وعمر بن عبد العزيز

* الذبيح إسماعيل عليه السلام

من الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين عند تفسير قول الحق جل وعلا : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات الآية:

obeikandl.com

.[١٠٢-١١٢]

فقد روى كثير من المفسرين منهم ابن جرير والبغوى والسيوطى على روايات كثير من الصحابة والتابعين وكعب الأحبار ـ كان حبرًا أى عالما من علماء بنى اسرائيل وأسلم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ أن الذبيح هو إسحاق .

ولم يقف الأمر عند الوقوف على الصحابة والتابعين بل رفعوا ذلك إلى النبى ﷺ فروى ابن جرير عن كريب عن زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبى ﷺ أنه قال :

ـ الذبيح إسحاق

هو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به ، فالحسن بن دينار متروك وشيخه على بن زيد بن جدعان منكر الحديث (تفسير ابن كثير والبغوى ج ٧ ص ١٥٤).

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله ﷺ :

إن داود سأل ربه مسألة فقال :

ـ اجعلنى مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب

فأوحى الله إليه :

ـ إنى ابتليت إبراهيم بالنار فصبر ، وابتليت إسحاق بالذبح فصبر ، وابتليت يعقوب فصبر .

وبما أخرجه الدارقطنى والديلمى ـ فى مسند الفردوس ـ بسندهما عن ابن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ : الذبيح إسحاق

وهى أحاديث لا تصح ولا تثبت ، وأحاديث الديلمى فى مسند الفردوس شأنها

معروف ، والدارقطنى ربما يخرج فى سننه ما هو موضوع (أعلام المحدثين للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة)

والحق أن هذه المرويات فى أن الذبيح إسحاق هى من الإسرائيليات وقد نقلها من أسلم منهم ككعب الأحبار وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين تحسينا بالظن بهم ، فذهبوا إليه ، وجاء بعدهم العلماء فاغترفوا منها واغتروا بها وذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق وحقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب السفهاء لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبى الأمى العربى القرشى الهاشمى المكى ﷺ فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبى الخاتم ﷺ والعرب فضل أنه الذبيح حتى لا ينجر - يسند - ذلك إلى أبى القاسم ﷺ وإلى الجنس العربى.

* تحريفهم التوراة

ولأجل أن يكون هذا الفضل لبنى إسرائيل ولجدهم إسحاق عليه السلام لا لأخيه الأكبر البكر إسماعيل حرفوا التوراة فى هذا .

ولكن أبى العليم الخبير إلا أن يغفلوا عما يدل على هذه الجريمة النكراء ، والجانى دائما يترك من الآثار ما يدل على جريمته ، والحق يبقى له شعاع ولو خافت يدل عليه ، مهما حاول المبطلون اخفاء نوره وطمس معالمه فقد

حذفوا من التوراة لفظ إسماعيل ووضعوا بدلا منها إسحاق

ولكنهم غفلوا عن كلمة كشفت هذا التزوير وذلك الدس المشين

* نص التوراة

ففى التوراة الإصحاح الثانى والعشرون فقرة (٢) : قال الرب :

خذ ابنك وحيدك الذى تحبه واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك

وليس أدل على كذب هذا من كلمة : وحيدك

وإسحاق عليه السلام لم يكن وحيدا قط ، لأنه ولد بعد إسماعيل عليه السلام بنحو أربع عشرة سنة كما هو صريح فى توراتهم وأن كتابهم نص على أن الله أمر أبرام - إبراهيم - أن يذبح ابنه بكره

وفى لفظ وحيده

وهل هناك شك أن إسماعيل عليه السلام هو بكر إبراهيم عليهما السلام وقد كشف وفضح القرآن العظيم كذب بنى إسرائيل فقال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة إبراهيم الآية : ٣٩]

أى رزق الله إبراهيم إسماعيل ثم إسحاق عليهم السلام

قال عبد الله بن عباس

- ولد إسماعيل وهو - إبراهيم - ابن تسع وتسعين سنة ، وإسحاق بعد عشر ومائة

* الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

تدل الآيات القرآنية والآثار عن الصحابة والتابعين ومنها ما له حكم الرفع عن الصادق المصدوق ﷺ بتقرير النبى الخاتم ﷺ له .

يقول عبد الله بن سعيد الصنابحى :

حضرنا مجلس معاوية بن أبى سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أيهما الذبيح ؟

فقال بعضهم :

- إسماعيل

وقال البعض

- إسحاق

فقال معاوية :

على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى فقال :

ـ يا رسول الله : خلت الكلأ يابسا ، والمال عابسا ـ المراد به الحياة أى عابسا من شدة الجوع والعطش ـ ، هلك العيال ، وضاع المال ، فعد على مما أفاء الله تعالى عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه .

فقال القوم :

ـ من الذبيحين يا أمير المؤمنين ؟

قال معاوية بن أبى سفيان :

إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه ، فلما فرغ أسهم بينهم ، فكانوا عشرة ، فخرج السهم على بن عبد الله ، فأراد نحره فمنعه أخواله : بنو مخزوم وقالوا :

ـ أرض ربك وافد ابنك

ففداه بمائة ناقة

قال معاوية :

ـ هذا واحد ، والآخر إسماعيل (هذا الحديث فى حكم المرفوع لتقرير النبى ﷺ للأعرابى على مقالته ، وقد اختلف فيه فمن مصحح له ، ومن مضعف)

* وشهد شاهد من أهلها

تقول أم البنين بنت عبد العزيز:

روى ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى :

أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال له عمر :

ـ إن هذا الشىء ما كنت أنظر فيه ، وإنى لأراه كما قلت

ثم أرسل إلى رجل كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان حبرا من أحبار اليهود

فسأله :

ـ أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه ؟

فقال :

ـ إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم ذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ، وهذا هو الحق الذى يجب أن يصار إليه

قال ابن كثير فى تفسيره :

ـ والذى استدل به محمد بن كعب القرظى على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى (تفسير ابن كثير ، والبغوى ج ٧ ص ١٠٦) .

* أطفأت نار المسلمين

تقول أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

ذات ليلة جاء أخى عمر بن عبد العزيز رسول بعض الجهات ليخبره عن حالها ، فدعا عمر بن العزيز بشمعة فأوقدت وجلس الرسول وجلس أمير المؤمنين فسأله عمر عن حال أهل البلد ومن فيها من المسلمين وأهل العهد ـ أهل الذمة من اليهود والنصارى ـ وكيف سيرة الوالى وكيف الأسعار وكيف أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء السبيل والفقراء ؟ وهل أعطى كل ذى حق حقه ؟

فأنبأه الرسول بجميع ما علم

ولما فرغ الخليفة العادل من أسئلته أخذ الرسول يسأل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز :

ـ كيف حالك فى نفسك وبدنك ؟

فأشار أبو حفص بيده :

أن انتظر

ثم نفخ أبو حفص الشمعة . . ونادى :

ـ يا غلام : على بسراج

فأحضر الغلام سراجا من بيت عمر بن العزيز فتيلته لاتكاد تضىء

فأشار عمر بن عبد العزيز بيده للرسول وقال :

ـ الآن سل عما أحببت

فسأله الرسول عن عياله وأهل خزنته ومن يعنى بشأنه

فأخبره أبو حفص عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته

وعجب الرسول من حادثة الشمعة وأراد أن يعرف سرها فقال لأبى حفص :

ـ يا أمير المؤمنين : رأيتك فعلت أمرا ما رأيتك فعلت مثله

فتساءل عمر بن عبد العزيز :

ـ وما هو ؟

قال الرسول :

ـ اطفاؤك الشمعة عند سؤالى لك عن حالك وشأنك

قال أبو حفص :

ـ يا عبد الله : إن الشمعة التى رأيتنى أطفأتها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تضىء بين يدى ـ أمامى ـ فيما يصلحهم ، فلما صرت تسألنى عن شأنى وأمر عيالى ونفسى أطفأت نار المسلمين.

* كرهنا أن تشم أفواهنا

تقول أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

عاد عمر بن عبد العزيز يوما إلى بيته بعد صلاة العشاء ولمح بناته الصغار فسلم عليهن كعادته ، وبدلا من يسارعن إليه بالتحية كعادتهن رحن يغطين أفواههن بأكفهن

ويتبادرن إلى الباب.

فتساءل أبو حفص :

ـ ما شأنكن ؟

قالت بناته ؟:

ـ لم يكن لدينا ما نتعشى به سوى عدس وبصل . . فكرهن أن تشم أفواهنا

فبكى أمير المؤمنين عمر ثم قال :

ـ يا بناتى : ما ينفعكن أن تعشين الألوان والأطايب ثم يذهب بأبيكن إلى النار؟

* جمرتان من نار

تقول أم البنين :

رأت إحدى بنات عمر بن عبد العزيز صديقة لها تزين أذنيها بلؤلؤتين جميلتين فأرسلتنى ومعى واحدة

فقلت لأخى عمر ضارعة :

ـ اشتر لها مثلها

فدعى أمير المؤمنين عمر خادمه مزاحم وأمره أن يأتى بجمرتين من نار ثم دعا ابنته وقال لها :

ـ إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك جئتك بلؤلؤتين كهذه

* من أقوال أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

كانت أم البنين تقول :

* أف للبخل لو كان قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته

* وهل ينال الخير إلا باصطناعه ؟

* ما حسدت أحدا قط على شيء إلا أن يكون ذا معروف فإنى كنت أحب أن

أشركه فى ذلك

* جعل لكل قوم نهمة ـ النهمة بفتح النون وسكون الهاء : الشهوة والرغبة ـ فى شىء ، وجعلت نهمتى فى البذل والعطاء ، والله للصلة أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ

* ما تحلى المتحلون بشىء أحسن عليهم من عظم مهابة الله فى صدورهم

* قالوا عن أم البنين :

* قال سعيد بن مسلمة بن هشام الأموى :

كانت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها وهى قائمة تصلى ثم تنصرف إليهن فتقول :

ـ أحب حديثكن إذا قمت فى صلاتى لهوت عنكن ونسيتكن .

وكانت تكسوهن الثياب الحسنة وتعطيهن الدنانير

قال ابن عساكر :

إن أم البنين كانت فيمن حدث من النساء ، وروى عنها إبراهيم بن أبى عقيلة

قال أحمد بن سهل :

كانت أم البنين تعتق كل جمعة رقبة ، وتحمل على فرس فى سبيل الله عز وجل

* قال ابن عساكر :

أما دار أم البنين فقد كانت بدمشق بقرب طاحونة الثقفيين المعروفة بطاحونة القلعة ولها دار أخرى خارج باب الفراديس على يسار المار إلى المقبرة .

obeikandl.com